

رحلتي إلى ماسنة

بقلم

محمد المنصور إبراهيم

شعبان ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

رحلتي إلى ماسنة

التاريخ: الثلاثاء ٤ شعبان إلى الخميس ٢٠ شعبان ١٤٣٢هـ (٥-٢١/٧/٢٠٠١م)

الغرض: حضور المؤتمر التأسيسي لاتحاد علماء إفريقيا في باماكو

المرافقون:

١. د. محمد الثاني عمر موسى

٢. د. إبراهيم جالو

٣. الشيخ أمين إبراهيم دوراوا

٤. د. عبد الرزاق أيارو

٥. د. عبد الوهاب إيلورن

ثم وجدنا:

٦. الشيخ محمد سليمان جوس وقد جاء عن طريق السنغال

الأنشطة المصاحبة:

- تسجيل درس مع قناة طيبة وقناة إفريقية

- زيارة الأماكن التاريخية بتبكتو وماسنة

بداية الرحلة:

تم الانطلاق بعد ظهر الثلاثاء ٤ شعبان ١٤٣٢هـ من سكتو إلى كانو لتتم المغادرة مع الإخوة في رحلة الصباح الساعة ٣٠:٧ص إلى لاغوس ثم فوجئت قبيل الوصول بأني نسيت جواز سفري في سيارتي الأخرى، وكان ذلك في حوالي الساعة العاشرة ليلا، ففوضت أمري إلى الله وطلبت من أخي الحاج مصطفى أن يبعث بالجواز في أول سيارة تاكسي صباح الغد وقد كان. جاءني بعد ذلك الأخ الشيخ أمين دوراوا وأنا في ضيافة الفرقان فأعلمني أن الرحلة فاتته كذلك لنعلم سويا أن رحلة الخطوط الأثيوبية من لاغوس إلى باماكو قد ألغيت وأن الإخوة الأربعة هناك في لاغوس يسعون لتأكيد الحجز ليوم غد. وهكذا التقينا معهم صباح الخميس وكان سفرا مريحا وممتعا تجاذبنا فيه أطراف الحديث مع الدكتور عبد الوهاب والدكتور عبد الرزاق في ذكريات الجامعة الإسلامية.

ولا أنسى ما أبداه لي الشيخ أمين من الكرم يوم إقامتي في كانو فقد ترك لي محموله (i-pad) لأتعود على استعماله لما أُنِي أبدت رغبتي في اقتنائه.

الوصول إلى باماكو وبدء فعاليات المؤتمر:

وصلنا إلى باماكو مساء وكان في استقبالنا كل من د. سعيد محمد بابا سيلا و د. محمد آدم سنكري ونزلنا في فندق مسالي وحضرنا صلاة الجمعة في مسجد الفاروق وتم:

- **افتتاح المؤتمر:** افتتح المؤتمر مساء الجمعة بكلمة الدكتور محمد أحمد لوح من السنغال ذكر فيها مآثر إفريقيا التاريخية والحاجة إلى تأسيس منبر موحد لعلمائها. وكانت كلمة مؤثرة جدا أنست الجح الغفير معاناته في انتظار وصول الرئيس الذي حضر قبيل أذان المغرب بقليل. وجاءت كلمة رئيس رابطة علماء مالي الشيخ دكو الفلاقي التي شجع فيها الرئيس على الوقوف في جانب الدعوة الإسلامية، ثم كلمة رئيس جمهورية مالي **أمادو توماني توري** التي أبدى فيها اهتمامه بالإسلام.

- **ندوة:** أقيمت صباح السبت بعنوان: "دور العلماء في الحفاظ على الأمن".

المشاركين:

• د. سعيد برهان نائب رئيس جامعة جزر القمر

• د. يحيى عبد الله أحمد من تشاد

المعلق الأساسي: د. سويد جمعة عميد كلية الشريعة والقانون نزنزبار

المعلقون الآخرون:

• د. عبد الله خضر من إثيوبيا

• د. حقار من تشاد

• د. صالح من تزانيا

الفترة الثانية: محاضرة عن مقدمات في الأمن يلقيها معالي وزير خارجية مالي:

تكلم فيها عن الأزمنة الأمنية في الأمة الإسلامية مع التركيز على المشاكل الأمنية في ساحل الصحراء (وهي دول موريتانيا ومالي وتشاد وتانيجر التي تبلغ مساحتها ٨ مليون كيلومترا مربعا). ومن ذلك تجارة الأسلحة والمخدرات وقال بأن هذه الدول عريقة في التمرد.

علق على محاضرتة كل من د. محمد أحمد لوح والشيخ إبراهيم من النيجر ود. عبد الرزاق الأارو فذكروا الارتباط الوثيق بين الأمن والتنمية وأن الأيدي الشاغرة هي غير المتعلمة وهي مصدر الفتن في الأمة.

كانت هناك ندوة أخرى أُلغيت بسبب ضيق الوقت لمواصلة أعمال المؤتمر من مراجعة المنهج العام وانتخاب المجلس العام ورؤساء اللجان، ووعدت الأمانة المشاركين بإرسال البحوث إليهم عبر البريد الإلكتروني. وقد تمت المهام كلها خلال الفترة المسائية يوم السبت، وقسم المشاركون إلى ثلاث لجان قدموا أعمالهم صباح الأحد وتم اعتماد المنهج وتعيين الرؤساء فتم اختيار د. سعيد برهان من جزر القمر رئيساً للإتحاد بعد أن رشحت اللجنة د. محمد أحمد لوح من السنغال فأصر على الاعتذار لاعتبارات أرباها وظروف خاصة تخرج من ذكرها. وخصص لمنصب نائب الرئيس ثلاثة أحدهم د. بشير علي من نيجيريا.

تسجيل برنامج لقناة طبية وقناة إفريقية

سجلتُ لهتين القناتين دعاية بلغة الهوسا لمدة دقيقتين لما أن القناة الثانية قد بدأت بثها ببعض اللغات الإفريقية وتنوي البدء بلغة الهوسا فسجلتُ لهم بشارة بهذا ودعاية للمشاهدين من أهل هذه اللغة.

ثم سجلتُ درسا باللغة العربية لمدة ٢٠ دقيقة بعنوان: "قيمة العمل الصالح" شرحت فيه قول الله تعالى: ((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) النحل: ٩٧

الرحلة إلى تنبكتو

لم يلق رأيي في السفر إلى المشاهد التاريخية تأييد أحد من الإخوة في مالي لما يرون فيه من تكلف صعوبات لا يجدون لها مبررا. ولكني كنت عازما على ذلك أشد العزم، يحدوني الشوق إلى أطلال الأجداد ويملأني الأمل في لقاء بعض الأقارب والتعرف على أمانتهم.

رتب لي مدير مؤسسة الفاروق د. إبراهيم كنتاوا فاستدعى أحد دعاةهم وهو الشيخ إسحاق سيسسي فوصاه بي لأنه يسكن في مدينة موبتي التي هي مفترق الطريق بين ماسنة وتنبكتو على حد قوله.

انطلقت يوم الثلاثاء ١١ شعبان إلى موبتي ونزلت في منزل الشيخ إسحاق حيث أكرموني غاية الإكرام وركبت مع أحد أولاده إبراهيم (يدرس حاليا في جامعة الإمام بالرياض) دراجته النارية فصورت المساجد التي أعجبتني تصميمها وهندستها ولم أكن حينئذ أعلم أي أصور مساجد ماسنة القديمة. وبت في مكتبته العامرة أطالع هذا وهذا. ثم رافقتي ولده خالد - وهو ولد مبارك إن شاء الله يدرس في جامعة الكويت مع أخته فاطمة- لكي نواصل المصير إلى تنبكتو. وهنا شاء الله تعالى أن نضل الطريق أو نخطئ - بالأحرى - في اختيار المواصلات. وليس ذلك منا

ولكن الشيخ سيسي فوض بعض تلاميذه ليرشدنا إلى الطريق فأخذنا في سيارته الفخمة إلى سيباري - ١٣ كيلو مترا من موبتي - وأركبنا سيارة لم أفكر طول حياتي أي أركب مثلها في رحلة ساعة فضلا عن يوم كامل، ودفعنا ضعف المبلغ المطلوب خطأ (١٠٠٠٠ فرنك) فلم يردنا إلينا السائق ظلما أو نسيانا - تبينا هذا عند العودة.

كان في بال كل منا أنا ورفيقي أن الطريق الذي سنسلكه طريق وعر غير معبد لا تسلكه إلا هذه السيارة الميتة ولعل هذا البلد الذي نسير إليه لا يذهب إليه غيرها يوما أو يوما بعد يوم، فظلنا ننتظر وصول الناس وتحميل البضائع بكل أنواعها في داخل السيارة وفوقها قرابة ثلاث ساعات ثم أمرنا بالدخول. وكان ظني أن الكرسي الأمامي محجوز لنا فلم يكن الأمر كذلك واضطررنا إلى الركوب في وسط السيارة مع زحمة الركاب البدويين الذين يؤذيك الدنو من أحدهم فضلا عن مزاحمة الأربعين في سيارة ميتة. ظل السائق يستزيد من الركاب ويستزيد حتى صيرها كالعلبة المملوءة بالتراب لا تكاد تجد فيها متنفسا، وبدأ الجوع يطرق بطني وقد تزودت لحما مشويا لا أجدني مرتاحا لأكله في هذا السجن.

وما إن بدأت السيارة تتحرك حتى صيرتنا في جحيم من الدخان لا يطاق فأصبح العجائز والصبيان يعبرون عن تضايقهم بالقحة التي تخرج من حلوقهم تنفيسا عن نفوسهم، وسارت على بركة الله، والدخان يأتي من بين أيدينا ومن خلفنا بل ومن تحتنا أيضا، فإنها كانت مخروقة في وسطها الذي نجلس فيه. استغرقت خلال الساعة الأولى قريبا من ٢٥ كيلومترا ولم تخرج عن الطريق السوي المعبد. قال لي خالد: والله إن كان هذا هو الطريق فينبغي أن تكون هناك سيارات أجود من هذه. لاطفته ومازحته لكي أنفّس عنه ما أنا أحوج إلى تنفيسه عن نفسي. والجو يتغير كلما تقدمت السيارة، فمن هنا يأتي ريح البصل، ومن هناك ريح اللحم النيئ المحبوء في العفش، وأحيانا يتنفس الركاب بريح من داخل أنفسهم.

وباختصار وصلنا بعد صلاة المغرب إلى دوانزا - حيث توجد السيارات إلى تنبكتو - لندرك أن السفر كله كان ١٨٠ كيلومترا وأن الحافلات الناقلة للركاب المكيفة موجودة من موبتي يكفيها ساعتان فقط للوصول إلى المكان الذي نحن فيه. قلت للولد: قل قدر الله وما شاء فعل. وقلت في نفسي: سامح الله هذا التلميذ البار الرشيد!

صلينا المغرب والعشاء وقطعنا تذكرة السفر على سيارة لاندكروزار. استفسرت فقالوا تتحرك السيارة بعد قليل. قلت: خيرا. فكم يستغرق السفر؟ قالوا: ساعتين. فظللت أنتظر حتى الساعة الحادية عشر. وبينما أنا في حديث بالجوال بلغة الهوسا إذ التفت إلي شاب من أهل النيجر

وسأل عن هويتي، فإذا هو يعرف من لغة الهوسا. أتاني بعد ذلك بطراحة نمت عليها ملاً جفوني حتى الساعة الثانية والنصف حيث أيقظني خالد وبشرني بمواصلة السفر.

الآن نحن في طريق صحراوي جاف، بيد أن الوقت ليل، والليلة ليلة مقمرة - ليلة الثالث عشر - والسيارة قوية والسائق قوي العزم كذلك فأخذتني غفوة استيقظت منها مع طلوع الفجر على حافة نهر ظننته أمام تنبكتو. ثم عبرنا البحر مع سيارتنا عن طريق الباخرة النقالة إلى الطرف الغربي فواصلنا المسير، ودخلنا تنبكتو حوالي الساعة التاسعة في الصباح.

كان خالد على اتصال مع الشيخ هادي الطارقي بوصية من أبيه فجاء إلى المحطة واستوفدنا إلى بيته. ولو رأني أحد وقتئذ كان على معرفة بي من قبل لاستنكر هيئتي، فإني كنت ألبس الأبيض، وكان الطريق الذي بتنا نسير فيه أحمر، والجانب الذي جلست فيه من السيارة أحرق، فكان نصيبي من التراب الأحمر يجعلني مع ملابسي وشعر رأسي كالبدلة الحمراء تماماً. ثم هياً لي مضيبي - وكان والله نعم المضيف - فاستحمت وأمرت خالداً أن يأخذ راحته ثم خرجنا إلى مركز أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية فاستقبلنا ناظر المكتبة جبريل دو كوري بحفاوة وترحيب بالغين. بدأت أنظر في المخطوطات فإذا بالدكتور محمد جاكايي كأنه مبعوث لخدمتنا. ذهبنا إلى مكتبه فأول ما سألته عن تاريخ جدي محمد سنبل جم فتح في حاسوبه كتاب تاريخ السودان للسعدي فبحث عن محمد سنبل فيه العبارة الآتية:

وفي ليلة السبت الثانية عشر من شوال (يتحدث عن أحداث سنة ١٠٥٢هـ) توفي
المحب النافع والصاحب الفاضل الفقيه أبو عبد الله القاضي محمد سنبل بن القاضي
محمد جم ابن الفقيه سنبل مريم قاضي ماسنة، رحمه الله تعالى وعفى عنه وغفر له
وجمع شملنا وشمله في ظل العرش وفي الفردوس الأعلى بمنه آمين.

كدت أظير فرحاً بالحصول على هذه المعلومة. ثم بحثنا في كتاب تاريخ الفتاش، وأراني سير العمل في تصوير المخطوطات ونقل لي كتاب "الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع، وإحياء بعض ما اندرس من السنن" للشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر الماسني، مؤسس مملكة ماسنة الفلانية الإسلامية والذي يعرف بسيكو أمادو عندهم.

ثم سألته عن عاصمة مملكة ماسنة فأفاد بأنها "حمد الله" التي تقع جنوبي موبتي بأقل من ٤٠ كلم. ولم يخبرني بأنها خربت حتى طالعت - وأنا في موبتي - رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه عام ١٤٢٧هـ/١٤٢٨هـ إلى جامعة الزيتونة بتونس، وهي بعنوان: الفلانيون وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنين ١٢هـ-١٣هـ/١٨م-١٩م. كما

صورت منه كتاب "The caliphate of Hamdullahi 1818 – 1864" لوليام أيلين براون الذي قدمه لنيل شهادة الدكتوراة إلى جامعة ويسكونسين بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩م حاول فيه الجمع بين التراث المكتوب والمنقول المتداول عن دولة ماسنة. وهي دراسة جادة مركزة.

زرنا مسجد سنكري الذي أسسه الشيخ أحمد بابا والجامع الكبير وبعض الأماكن الأخرى. ومن زرتة وسجلت الحوار معه الشيخ محمود بن محمد دَدَبُ الملقب بـ (حمو) والذي هو أبرز من شارك في برنامج الجزيرة الذي أعدته عن تنبكتو "جوهرة الصحراء" كما سموها في برنامج "تحت المجهر" ووجدته حقا ملما بالتاريخ معتنيا به مواصلا في البحث عنه وإن كان اعترف بأن الدكتور محمد جاكايي هو الحجة في تاريخ الفلانيين، ولا غرو فإن رسالته خير دليل على ذلك.

مررت في المساء بسوق تنبكتو المركزي والذي ذكرني بأسواق سكتو في الأيام الخالية، وبعدد من مراكز المخطوطات، وعلى البيت الذي كان يسكنه "بارث" الذي ادعى الإسلام لما كان في تنبكتو، فلما ورد نيجيريا أعلن عن نصرانيته، وهو مثل سابقه "كلابارتون" جواسيس أرسلوا لاستطلاع أحوال بلاد الإسلام تمهيدا للاستيلاء عليها.

عزمت على العودة إلى موبتي صباح الجمعة وأمرت بقطع التذكرة لأجل ذلك بيد أنهم قالوا إن السيارة لا تنطلق إلا في الثالثة قبل الفجر من اليوم التالي فاستغللت الفرصة لكي أطلع كتاب تاريخ السودان وتاريخ الفتاش الذين حصلت عليهما من الأخ الدكتور جاكايي. وحينئذ لاحظت أنه لا يمكن أن يكون القاضي محمد سنب الذي يتحدث عنه السعدي والدا لجدي عثمان بن محمد سنب جم الماسني لأن الأول توفي بعد منتصف القرن الحادي عشر سنة ١٠٥٢هـ وهذا كان حيا بعد منتصف القرن الثالث عشر (١٢٥٠هـ). فلا أدري هل انتسب إلى جده كعادة العلماء في ذلك مثل أحمد بن حنبل وغيره أم أنه تناسب فقط في الاسم. وما زلت أبحث، فهناك امرأة اسمها مدام ديارا بنت سَنَكُوا يقال إنها من أعلم الناس بتاريخ الفلانيين في مالي، وكانت عضوا في البرلمان فأنا أبحث عنها في باماكو ساعة الكتابة.

استضافنا ليلة الجمعة أخ للشيخ سيس لا أذكر اسمه وقت الكتابة، وأكرمنا جدا وتناولنا عنده عشاء طيبا. ثم صليت صلاة الجمعة بمسجد أهل السنة والجماعة في تنبكتو مع الشيخ هادي وأولاده، واستغربت أن الإمام كان شيخا كبيرا.

زرت تنبكتو في وقت أشد ما يكون الجو حرارة غير أن صبيًا خفيفا لطيفا قد ودّعنا منها. ففي اللحظة نفسها التي طرق علينا السائق بدأ الصيب يتزل بحدوء، فكنا أول الركاب، ثم مررنا بيوت الركاب الآخرين نحملهم وأمتعتهم فما وصلنا جنب النهر إلا مع صلاة الصبح. ثم كان السير، وكان أبطأ من الأول وأقل منه راحة فوصلنا دوانزا مع صلاة الظهر، لنركب في هذه المرة حافلة سريعة - وإن كانت غير مكيفة - وتم الوصول إلى سيباري ومن ثم موبت قبل الخامسة مساء.

ظللت في صباح الأحد أنتظر الولد خالد لكي يصحبني إلى حمد الله، فعلمت متأخرا أنه يحضر عرسا لأحد مدرسيه فما عاتبته، فإنه كان نعم الرفيق، وأسرتة كانت ذات كرم ودين. وكان الأولاد الصغار يأتونني وأدعهم في مكتبة الشيخ. أما فاطمة فكل محاولاتي لمقابلتها فشلت، فإني أول ما رأيته لابسة النقاب، وكلمتا تشبثت بحيلة لكي أراها امتنعت، وزال مني العجب فإني علمت بعد أن أمها فلاتية، ومن أشد حياء من هؤلاء في تاريخ إفريقيا! فأسرة الشيخ سيسبي نموذج سني مثالي في هذا المجتمع الغريب الذي أبرز سماته التبرج وقلة الحياء. نعم قد رأيت هذه الفتاة من بعد وأنا أضعد إلى الحمام وحق لها أن تتستر عن أعين الناظرين فإنها بارعة الجمال وهي في مقتبل العمر يجب أن تشتغل بالدراسة الآن لا بملاقة الزوار.

ركبت في المساء دراجة نارية مع أحد الشباب اسمه إبراهيم متوجهين إلى حمد الله وكلي شوق ولهف إلى بلدي الأصيل. وصلت إليها، وهي تبعد ٢٠ كلم فقط من سيفاري في اتجاه باماكو لأجد مدينة خربة، وأطلالا صامتة، لا ينطق فيها إلا شقشقة الطيور. يا سبحان الله! أهذه ماسنة؟ أهذه المدينة ذات الأبواب السبعة والأحياء الثمانية عشر؟ أين كتاتيب القرآن الستمائة؟ أين الجامع الكبير الذي يضم في ساحاته ٣٠٠٠٠ مصل؟

لم يبق من هذا البلد إلا جدران قصر الإمارة المحيط به. وقد كان في هذا القصر بالإضافة إلى بيت الأمير بيوت الوجهاء ومكتبة تضم ما لا يحصيه إلا الله من نفائس المخطوطات، و"جيدّوأل" وهي قاعة اجتماعات باتو مودو (مجلس الشورى) وعددهم أربعون من أهل العلم والبصيرة، ويحضر اجتماعاتهم غير العادية ستون آخرون من رؤساء الأقاليم ووجوه الناس، كما أن في القصر سكنا للضيوف وآخر لمن يسموهم ووندون باري يعني الضعفاء والأرامل والأيتام ومن أشبههم.

لم يعد من هذه ولا من بيوت الناس ولا من الأسواق وكتاتيب القرآن شيء. فإذا دخلت قصر الأمير استقبلتك ساحة كبيرة أشبه ما تكون بساحة الكرة في العصر الحالي يتخللها قبور من هنا

وهناك. وهناك لوحات كتبت للإرشاد إلى أماكن الأطلال. فتجد عند حفرة كبيرة لوحة مكتوب عليها "المكتبة" وكذلك أماكن القبور.

أما قبر سيكو أمادو (١٢٦٢هـ) وولده أحمد الثاني (١٢٧٠هـ) فمحوطة ببناء جديد مع وزيرهما ألفا نوح بن الطاهر (١٢٧٧هـ). وكان هذا الأخير قد زار الشيخ عثمان بن فودي بسكتو وأقام عنده مدة ثم أراد المواصلة للحج فوجهه الشيخ عثمان إلى العودة إلى بلاده توقعاً بقيام مملكة إسلامية سنوية في بلاده مما يدل على أن الشيخ عثمان بن فودي كان يتابع الأمور بل كانت تسير بأوامره فإن سيكو أمادو قد وجه إليه رسالة يستأذنه فيها بالجهاد في السنة نفسها التي توفي فيها ابن فودي وقام فيها الجهاد وأقيمت الدولة الإسلامية الجديدة وعاصمتها "أحمد الله". وبعد أن رجع ألفا نوح وتحقق ما تنبأ به الشيخ عثمان من قيام المملكة الإسلامية عين رئيساً لباتو مودو وكلف بشؤون التعليم فصار هو الرجل الثاني في المملكة. وأوصى له أمادو برعاية أولاده بعده ودفنهما معاً، ولذلك فقد أمر أحمد الثاني بنقل جسمان ألفا من نياكونغو حيث توفي (١٢٧٧هـ) وتم دفنه على حسب وصيته.

أسباب سقوط ماسنة

تأسست دولة ماسنة على يد الشيخ أحمد وهو من أتباع الطريقة القادرية وكذلك كان خليفاه أحمد الثاني والثالث. أما ألفا نوح فكما أنه كان على تواصل مع الشيخ ابن فودي فكان ممن ألزم تلاميذ الشيخ المختار الكنتي الكبير رائد القادرية في وقته. فكانت الدولة تعتمد الطريقة القادرية. وكان هناك رجل اسمه يركوي تالفي يسكن في قرية ديرى، مدح أحمد الأول بقصيدة وعرض فيها بالشيخ محمد بلّ حيث يقول فيها:

واسم الخلافة فيك مقصور فكا
نت في سواك من اهل العصر بهتانا

أنت الخليفة حقا ليس ينكر ذا
إلا الذي لم يزل بالجهل سكرانا

ثم صار يأتي إلى حمد الله بتكليف من الشيخ أحمد بن أبي بكر وولدو هوري غونيا الذي قد طعن في السن، فاعتنق تالفي الطريقة التيجانية ودافع عنها دفاعاً مستميتاً واتصل بالحاج عمر الفوتي الذي كان رائد التيجانية وقتئذ. ثم حصلت فجوة بين الفوتي وبين حكام ماسنة من أجل تحريمهم للتبغ ووضعهم حداً لزياراته المتكررة التي كان يجمع فيها الأموال من العامة.

ثم تفاقمت الأزمة وصارت أزمة سياسية حين خرج عمر الفوتي بعد أن أخذ البيعة من أهل فوتا وأصبح يقاتل الملوك وينتصر عليهم فأرسل إلى أمير ماسنة يقول له: "يا قومنا أجيئوا داعي الله" يطلب منه مبايعته، ثم لما ووصل إلى كارتا، وباغنة، وجد عما لأحمد بن أحمد، فسجنه، فطلب

منه الأمير أحمد أن يفرج عنه وعن المسجونين الآخرين، فقابله الفوتي برد شنيع، فاستشار الأمير باتو ماودو (مجلس الشورى) في أمره فاتفقوا على ألا يقاتلوه إلا إذا بدأهم بالحرب.

ثم أسلم ملك مدينة سيِّقو عاصمة مملكة بامبرا، فلم يخله عمر الفوتي فاستنجد بأمير ماسينة، فأرسل إلى الحاج عمر يشفع له فغضب الحاج عمر، ودارت معارك بين الطائفتين سجالاً، ثم عزم الحاج عمر الفوتي على غزو ماسنة على الرغم من بعض النصائح التي تأمره بحقن دماء المسلمين الأبرياء، ولكنه دخلها عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٦٢م وقتل الأمير أحمد الثالث، فحاصره الفلاتيون أكثر من ثمانية أشهر حتى نفذ ما عندهم من الطعام ووهنت عزيمتهم فحينئذ أشعلوا نارا بداخل المدينة وفي تلك الأجواء استطاع الفوتي أن يهرب إلى ديغميري لكي يتنفس أنفاسه الأخيرة هناك حيث أدركه الفلانيون فإما أنه انتحر وإما أنهم أشعلوا النار في كهفه فلقي حتفه هناك.^١ وبعض المصادر تتهم يركوي بالتواطئ مع الفوتي في إسقاط دولة حمد الله إلا أن الباحث د. محمد جاكايي ينقل أنه لم يوافق على ذلك بل نصحه بحقن الدماء.

ثم خلف الفوتي ابن عمه التيجاني فلم يسكن ماسنة لأنها أحرقت بالكلية، فاتخذ بانجاغارا عاصمة له بينما حكم أحمد بن عمر الفوتي المناطق الخاضعة لمملكة سيغو البمبارية. وهكذا تشتت الدولة ووجدها الاستعمار الفرنسي لقمة سائغة بعد عشرين سنة تقريبا من هذه الحوادث. وهكذا أيضا راحت نفوس الأبرياء وخسرنا معرفة أنسابنا وخسرت الأمة ذلك التراث الهائل من المخطوطات القيمة التي أحرقت في مكتبة القصر، والله المستعان. وأما في الجانب الغربي فأتى الإنجليز فوقعوا على دلة ابن فودي فوجدوها فريدة معزولة فاستولوا عليها. ولو أن هذه الدول كانت متماسكة مترابطة كما أراد لها ابن فودي رحمه الله لصعب على المستعمرين أن يفكروا في استيلائها، ولو أرادوا لما تم لهم ذلك، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

رجعت إلى موبتي بعد أن صورت تلك المشاهد المبكية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الواقعة قد خلدت العداوة بين من يسمون الفوتيين والماسنيين حتى إن المرحوم أحمد همباتي با قد دعا إلى الإصلاح عام ١٩٧٦م، وبدأت زيارات سنوية منظمة إلى ماسنة لهذا الغرض مما حدا بحكومة

^١ ويبدو أن هذه الفترة هي التي خرج فيها حدي محمد سنبو إلى دولة سكتو، فإن المصادر التي استقينها منها تشير إلى وفاته في نحو سنة ١٨٨٠م، وذلك بعد أن استقر في سكتو مدة من الزمن تعلم منه حينها السلطان أحمد رفاعي وأسرلة لادن رامي وغيرهم كثير، ثم سافر للحج وذكر أنه مر ببيت المقدس حيث أدركته منيته هناك.

مالي أن تعيد بناء مسجد حمد الله على أنقاض المسجد القديم مراعية في ذلك مطابقتها للقديم.
افتتح هذا المسجد رئيس الدولة أمادو تمانى توري يوم ١١ يونيو ٢٠٠٤م.

العودة إلى باماكو

لم يكن هناك شيء يذكر بعد ما تم الاطلاع على هذه الأطلال المبكية إلا أنه دخلني بعض اليأس مما كنت أصبو إليه من معرفة أماكن أسرتنا والتعرف على بعض الشخصيات منهم، والله يعلم أنني كنت حريصا على ذلك، ولعل الله يسعف بذلك يوما ما ويسر ذلك لي أو لأحد من أولادنا بلطفه وكرمه.

رجعت إلى موبتي وبتي فيها ثم رافقني صباح الإثنين طالب علم اسمه أحمد كسميرا إلى المحطة فتمت العودة إلى باماكو، واستقبلني الأخ عبد الله دويبا، فتجولنا في المكتبات ودخلنا في السوق.

ومن مصادر الفرح عندي في باماكو هذه المرة الحصول على رقم الشيخ عبد الرحمن كوجو إمامنا القديم في المركز الإسلامي الإفريقي بالسودان. وقد اتصلت به وفرح بقدمي ثم زارني بعد عشاء اليوم الثلاثاء وتجادبنا الحديث حول ذكريات السودان جزاه الله خيرا.
تم الحجز ليوم غد الأربعاء، وستتم المغادرة إلى لاغوس الساعة التاسعة والنصف صباحا إن شاء الله.

أسأل الله أن يجزي خيرا كل من أعان على نجاح هذه الرحلة، وأن يجمعنا في دار المقامة من فضله حيث لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَى اللَّهِ عِزِّي نَأْتِيهِ وَاللَّهُ وَجْهِي وَمُجِيبُ

قَالَ الْبَغَيْرِ أَوَّلَهُ الْعَمْرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَرَاءُ بْنُ

بُرَيْدٍ سَعِيدٌ عَقْبَرُهُ وَلِوَالِدِهِ وَلَا شَيْءَ خِصْمِهِ

وَالْجَمِيعُ أُمَّةٌ الْإِجَابَةُ أَمِّيٌّ

الْبَهْرُ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَجَلَّ عِلْمُ مُحَمَّدٍ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ

وَأَجْعَلْ لِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ أَهْلُ التَّفَوُّرِ وَأَهْلُ الْمَعْبُورَةِ وَبَعْدُ

لَمَّا رَأَيْتَا بَعْدَ الْبَدْعِ الشَّيْكَانِيَّةَ وَالنَّجَسِيَّةَ اشْتَرَفَا فِي أَكْثَرِ السُّورِ

مَا رَأَى مِنْهُمْ وَحَضَرْتُمْ حَتَّى اتَّقَدَّ عِبَادَةُ ظَاوَرٍ رَعَى بِهَا مَا عَلِمْتُمْ

أَيُّهَا الْأَخْوَانُ مِنْ سُورِ الْبَدْعِ وَيَكْفِيكَ مِنْ سُورِ مَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ

الطَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَرِهَ عَةَ ضَلَالَةٍ وَقَوْلُهُ اتَّبَعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا

وَأَنَا هَلْكَ مَنْ كَانَ فَلَكَ بِمَا ابْتَدَعَ عَوَاجِ دِينِهِمْ وَتَرَكَوْا سُنَنِي

أَبَائِهِمْ بَطَلُوا وَأَضَلُّوا وَقَوْلُهُ إِذَا مَا تَصَاحَبَ بِدَعَةٍ فَفَدِّ بَيْعَ

عَلَى الْإِسْلَامِ بَيْعَ وَقَوْلُهُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ صَاحِبِ مَنْ مَشَى الرَّوَاحِبَ

بِدَعَةٍ لِيُؤْفَرَ فَفَدِّ أَعَانَ عَلَى نَهْيِ الْإِسْلَامِ وَقَوْلُهُ مَنْ أَعْرَضَ

عَنِ صَاحِبِ دَعَةٍ بَغْضَالِهِ فِي اللَّهِ مَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمَّا وَأَيُّهَا

نَا وَمَنْ اتَّبَعَ صَاحِبَ دَعَةٍ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ مَائَةَ دَرَجَةٍ وَمَنْ

سَلَّمَ عَلَى صَاحِبِ دَعَةٍ أَوْ لَفِيهِ بِالْبَشَرِ أَوْ اسْتَفْلَهَ بِمَا

يَعْنِي

1

الورقة الأولى من كتاب "الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء بعض ما اندرس من السنن" للشيخ أحمد بن أبي بكر بن سعيد الماسني مؤسس مملكة ماسنة. توجد في مركز أحمد بابا للبحوث والدراسات الإسلامية بتبكتو برقم ٣٢٨٧.

الورقة الأولى من رسالة الحاج عمر بن سعيد الفوتي إلى أهل ماسنة وهي بخط يده. توجد في مركز أحمد بابا للدراسات والبحوث العلمية بتبكتو برقم ٩٤٠.

بسم الله الرحمن الرحيم و صلوات الله على من قبلك
وهو الذي جعلنا من قبلك

وهو الذي جعلنا من قبلك
وهو الذي جعلنا من قبلك

سلاخ كعرف ال و ضربا كره الملم كما زان عوكو الجها نوره الشجر
الراخرة احابنا و احابنا و خلصا تما و اول الدع لاغية
بنت فوت اعنه بنجر عم العتي واحد تعديس والد العتي عم
وما ملهم ما كل شجر لنا آخ مجبا و محوبا له عترنا ائس
خيل ريف حار و اعلاهم عملا واح ازيدهم موثلا ائس و ما ند
ايد اخره ارسلنا في اطاء كح مسافة شهر شه رسلا كح اح
يفاضح الام و الحب قماري من الناصر بيدهم قبلها مثلها
وما قلت را النبي والعلم من خواء و فليلي الخبر ال جاله ما لغني
وما بين ما فخر ولا بين حاجته لسا ال و اعلم لا يدع ولا
سوى الجبا دينا راله كفتكم به ما لث غير اتعب ال سعي
لعمركم اني تعجب رسولا ولا ان اطلبونه تدره كلنا كسعي
اعترنا رسولا يكون جدينة و كان جلم يتعبا بان تعبا اعترع
وماذا اعلمكم اه تعبا وانما عليكم لهو ابا يس وان يسبح
وانا تتلقوه جاهل و من حبا و ففتها الوراء رضيعه الم فرني
فدا عكيتك من اللبا و رفته لا يدع بالقيتم و لذيتهم الكدر
علم غيرت و كل من امي كح و ما با كفة القيد وال علم



الورقة الأولى من قصيدة أحمد البكاي الناطق الرسمي باسم مملكة ماسنة ينصح فيها الفسوتيين.

توجد في مركز أحمد بابا للدراسات والبحوث الإسلامية بتبكتو برقم ٩٨٥.

